

## [مُسْتَرِيحٌ؛ وَمُسْتَرَا حٌ مِنْهُ !]

مَنْهَجُ سَلَفِ الْأُمَّةِ عِنْدَ مَوْتِ رُؤُوسِ الْبِدْعِ وَالْمَذْمَةِ

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله الَّذي جعلَ لكلِّ أَجَلٍ كِتَابًا، وجعلَ الدُّنْيَا امْتِحَانًا وابتلاءً لذوي الألباب، فمَنْ آثر طاعةَ الله؛ فقد فاز، ومَنْ أعرَضَ فقد خاب .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ ﴿٨﴾

[آل عمران] .

وصلى الله على النبيِّ المجتبي الأواب، الَّذي نزلَ عليه أعظمُ كتاب، وعلى آله، وصحبه الأطياب، والتَّابعين لهم بإحسانٍ، وهُدًى، وصواب .

**أَمَّا بَعْدُ :**

فالموتُ سبيلٌ لا بدَّ من سلوكه، وغايةٌ لا بدَّ من بلوغها، لم يسلم من مصيبتها أحد؛ حتَّى الرسلُ، والأنبياء؛ فمَنْ وفقه الله تعالى استعدَّ لهذا القَادم، ولزم ما يُرضي الله تعالى، واللهُ تعالى إنَّما يرضى طاعته، وأَعلاها التَّوحيد، ويبغض معصيته وأَظْمها الشُّرك، ثمَّ البدع المضلَّة .

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ ﴿١٨٥﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ ﴿٢﴾ [الملك].

وقال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر/ ٧].



وقد تكرر الاستفسار عن موقف المسلم المعظم للسنة من موت دُعاة البدع، والأهواء، وناشري الضلال في المسلمين؟ .  
أصلح الله حالهم، وكفى الله المسلمين شرهم، وضلالهم.



ولا يخفى على عاقل أهمية بيان الحق في هذه المسألة المتكررة، والإحسان في فهم طريقة أهل السنة والجماعة، التي سار عليها سلف الأمة، والفضلاء الأئمة عند موت رؤوس الضلالة، ودعاة البدعة، والغواية .  
الذين عاشوا، وهم محاربون للتوحيد، مُنابذون للسنة، دُعاة لأهوائهم، مفارقون لجماعة أهل السنة، محاربون لعقيدة السلف، ومنهاجهم .  
فكم من قتيل بسهام شبهاتهم، قد رموه، ومكلوم من سيوف ألسنتهم، وطعناتهم، قد أردوه .

لا سِيَّما في زَمَاننا الَّذي أَعانَهُم فيهِ أَعْداءُ الدِّينِ، والمُلاحِدة؛ فَجَعَلُوا لَهُم مُؤْتَمَرات، ومُؤَسَّساتٍ مَدْعومَةٍ، وَرَفَعُوا لَهُم في سائِلِ الإِعلامِ مَنابِر، يَبْثُونُ مِنْها شُبُهاتٍ عَقِيمَةً، وَغوائِلَ عَظِيمَةً .

حَتَّى التَّبَسَّ على بَعْضِ المُسْلِمِينَ الحَقُّ الواضِحُ، وَلَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَ (التَّوْحِيدِ) الَّذي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، والشُّرْكَ المُحِبِّطُ لِلدِّينِ، وَلَمْ يَدْرِ الفَرَقَ بَيْنَ (سُنَّةِ رَسولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ، وَسَلَّم -)، وَالبِدْعِ المُضِلَّةِ ! .



والأَصْلُ أَنَّ المُسْلِمَ يَحْزَنُ لِمَا يَقَعُ لِأَخِيهِ المُسْلِمِ مِنَ المِصائبِ، وَيَرجو لهُ الخَيْرَ في الدُّنيا، وَالأخِرة، وَيَنْصَحُ لهُ؛ لِقولِهِ تَعالَى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات/ ١٠]، وَلِقولِهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ، وَسَلَّم -:

«تَرى المُؤْمِنِينَ في تَرانِجِهِم، وَتَوادِّهِم، وَتَعاطُفِهِم، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذا اشْتَكَى عُضْوًا تَداعَى لهُ سائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ، وَالْحُمَّى»<sup>(١)</sup> .

وَيَعظُمُ ذلكَ في حَقِّ العُلَماءِ المُصْلِحِينَ؛ فمَوْتُهُم ثُلْمَةٌ في الإِسلامِ لا تُسَدُّ .



وَمِنَ المُسْلِمِينَ مَن يَكُونُ موْتُهُ - إِذا قَضاهُ اللهُ - خَيْرًا لِغَيرِهِ مِنَ المُسْلِمِينَ، وَذلكَ فيمَن عَظُمَ مِنْهُ الشُّرُّ، وَالفُجُورُ، وَالتَّمايُدي في الأَهْواءِ .

فمِثْلُ هذا يُكرَهُ، وَيُبغِضُ لشرِّهِ، وَفجورِهِ، وَبِدْعَتِهِ، وَدَعواهُ إلى هِواهُ؛ وَإِن

كانَ باقِيًا في دائِرَةِ الإِسلامِ .



(١) البخاري (٦٠١١)، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِم (٢٥٨٦) .

## ويدلُّ لِهَذَا :

مَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رَبِيعٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - :  
«أَنَّهُ كَانَ يَحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ، وَسَلَّمَ - مُرَّرَ عَلَيْهِ  
بِجَنَازَةٍ؛ فَقَالَ: «مُسْتَرِيحٌ؛ وَمُسْتَرَاخٌ مِنْهُ» .

قالوا: يا رسول الله، ما المستريح، والمستراخ منه؟ .  
فقال: «العبد المؤمنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ  
الْعِبَادَ، وَالْبِلَادَ، وَالشَّجَرَ، وَالذُّوَابَ» .

وقوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ، وَسَلَّمَ - : «وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ»، قَالَ الْعَلَّامَةُ  
الْقَارِي (ت ١٠١٤): «وَهُوَ أَعْمٌ مِنَ الْكَافِرِ» انْتَهَى <sup>(٢)</sup> .

فَدَلَّ مَنْطُوقُ هَذَا الْحَدِيثِ عَلَى أَنَّ الْعَبْدَ الْفَاجِرَ يُسْتَرَاخُ بِمَوْتِهِ .  
وَدَلَّ الْحَدِيثُ - أَيْضًا - عَلَى عِلَّةِ هَذَا الْفَرَحِ، وَالرَّاحَةِ الْحَاصِلَةِ، وَهِيَ :  
تَقْلِيلُ الشَّرِّ عَنِ الْعِبَادِ بِسَلَامَتِهِمْ فِي دِينِهِمْ - وَهُوَ أَعْلَى الْمَقْصَدِ -،  
وَأَعْرَاضِهِمْ، وَعُقُولِهِمْ، وَدُنْيَاهُمْ، وَدَفْعِ أَسْبَابِ الْعُقُوبَةِ، وَالْبَلَاءِ عَنِ بِلَادِ  
الْمُسْلِمِينَ .

ومعنى آخر حاصل من مفهوم الموافقة، والإشارة، والتنبية في الحديث؛  
وهو: تَقْلِيلُ ذُنُوبِهِ، وَأَثَامِهِ .

فهذه المقاصد الشرعية هي من المقاصد العظيمة التي تُقصد لغيرها لا لذاتها.

(٢) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/١١٥٨) .

وَمَنْ فَعَلَهَا لِمَعْنَى آخَرَ - غير المعاني الشرعية - كحظ النفس، أو الدنيا،  
وجاهها لم يُحمد، بل ذُمَّ، وعرض نفسه للأثم .

ومن هذا الباب - على الوجه الشرعي - ما ثبت عن الصحابة - رضي الله  
عنهم -، والتابعين، والأئمة المهديين - رحمهم الله - من الفرح بموت رؤوس أهل  
البدع، والفجور، والضلال<sup>(٣)</sup> .



[ ١ ] فهذا أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب - رضي الله عنه -؛ ثبت عنه أنه  
سجد شكرًا لله تعالى حين وجد رأس الخوارج ذا الثدية المخدج في القتلى، وقد  
بحث عنه، وأمر بالبحث عنه؛ حتى وجدته؛ فحمد الله، وسجد لله تعالى شاكرًا<sup>(٤)</sup> .

والصحيح عند أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - في الخوارج  
أنهم مسلمون، ومن الكفر فرؤا، وأنَّ لهم أخوة الإسلام، وإن كانوا مبتدعةً  
ضالًّا؛ ولهذا قال: «من الكفر فرؤا»، وقال: «إخواننا بغوا علينا» .  
وهذا قول الجمهور، وهو الرَّاجح من القولين في المسألة .

---

(٣) جمع غير واحد من طلبة العلم النَّاصِحِينَ الآثار في هذا، وانتقيت منها ما صحَّ،  
وزدت عليها .

(٤) أحمد في « مسنده » (١٠٧/١)، و« صحيح مسلم » (١٠٦٦) بنحوه، ومختصرًا في  
« البخاري » (٦٩٣٠)، و« السنن الكبرى » للبيهقي (٥١٩/٢) .

ولسُجُوده سُكْرًا، وفرحًا معنًى آخر، وهو :  
 حُصُولُه على بُشرى النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ، وعلى آلِهِ، وسَلَّمَ - لَمَنْ قَتَلَ هَذَا  
 الْخَارِجِيَّ، وَقَاتَلَ الْخَوَارِجَ <sup>(٥)</sup> .  
 وَهَذَا مِمَّا يَزِيدُ مَا تَقَدَّمَ قُوَّةً؛ إِذْ صَارَ مَوْتَ هَذَا الرَّأْسِ الْخَارِجِيِّ مِمَّا يُسْتَبَشَرُ  
 بِهِ، وَيُفْرَحُ مِنْهُ .

[٢] ونظيره فرح الصَّحَابِي الْجَلِيلِ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -،  
 وَأَهْلِ الشَّامِ فَرَحًا شَدِيدًا بِمَوْتِ الْأَشْتَرِ النَّخَعِيِّ أَحَدِ الدُّعَاةِ الْمُحَرِّضِينَ عَلَى قَتْلِ  
 عُثْمَانَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - كَمَا ذَكَرَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «تَارِيخِهِ» (١٠ / ٦٥٥ / طَبْعَةٌ  
 مَوْسِمَةٌ هَجْرِيَّةٌ) .



[٣] وَهَذَا الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ (ت ٢٤٠) - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - إِمَامٌ أَهْلُ  
 السُّنَّةِ يَفْرَحُ لَمَّا يَجْرِي عَلَى الْجَهْمِيَّةِ الْمُحَارِبِينَ لِّلْسُنَّةِ مِمَّا فِيهِ إِضْعَافُهُمْ عَنْ بَاطِلِهِمْ،  
 وَدَفَعُ شَرَّهُمْ عَنِ الْأُمَّةِ .  
 فِي كِتَابِ «السُّنَّةِ» لِلْإِمَامِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْخَلَّالِ (٥ / ١٢١)، قَالَ :  
 «سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ الْمُرُودِيَّ، قَالَ: قِيلَ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ: الرَّجُلُ يَفْرَحُ بِمَا يَنْزِلُ  
 بِأَصْحَابِ ابْنِ أَبِي دُوَادٍ، عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ إِثْمٌ؟ .

(٥) وانظر: «مجموع الفتاوى» (٢٠ / ٣٩٥)، وانظر الهدى النبوي في سُجُود الشُّكْرِ فِي:

«زاد المعاد» (١ / ٣٥٠-٣٥١) .

قال: «وَمَنْ لَا يَفْرَحُ بِهَذَا؟»<sup>(٦)</sup>.



وقريبٌ منها :

قوله لمن أراد الخروج على الأمراء في نصيحة عظيمة :

«اصبروا حتى يستريح برٌّ، أو يُستراح من فاجر»<sup>(٧)</sup>.



[٤] وهذا الإمام الجليل بشر بن الحارث الحافي (ت ٢٢٧) - رحمه الله

تعالى - زاهدٌ بغداد .

يقول: «جاء موتٌ هذا الذي يقال له: المريسي، وأنا في السوق، فلولا أنه كان

موضع شهرة؛ لكان موضع شكر، وسجود، "الحمدُ لله الَّذِي أَمَاتَهُ" هكذا

قُولُوا»<sup>(٨)</sup> ! .

وهذا فيه نصيحةٌ جليَّةٌ من هذا الإمام القدوة الزاهد لأهل السنَّة أن يقولوا

"الحمدُ لله الَّذِي أَمَاتَهُ" إِذَا مَاتَ رَأْسٌ مِنْ رُؤُوسِ الْبِدْعِ، وَالضَّلَالِ .

---

(٦) وقد أكثر النَّاس من هجاء ابنِ أبي دُوَاد وانظُر: «مرآة الزمان في تواريخ الأعيان»

لسبط ابن الجوزي (٨٠ / ١٥) .

(٧) وهذا ثابت عن أحمد، ومرويٌّ عن الصحابيِّ الجليل أبي مسعود الأنصاري - رضي

الله عنه - عند اللالكائي (ت ٤١٨) في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»

(١٢٢ / ١) .

(٨) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٧ / ٥٣١ / طبعة دار الغرب الإسلامي) بإسنَادٍ

صحيح .

وأن هذا هو اللائق بأهل الزهد، والغيرة على الدين؛ فهم يعدُّون ذلك من النِّعم التي يشكرون الله تعالى عليها؛ فتدبَّر .



[٥] وهذا الإمام أبو القاسم ابن النقيب عُبَيْد الله بن عبد الله الحفَّاف (ت ٤١٥) - رحمه الله تعالى - أحدُ رؤوس أهل السنة في زمانه في بغداد، وعُبادهم .

حكى عنه تلميذه الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣) في «تاريخه» (١١٦/١٢) بعد أن وثَّقه، وذكر صحَّة سماعه قال :  
«وكانَ شديداً في السنة، وبلغني أنه جلس للتهنئة لما مات ابن المعلم شيخ الرافضة .

وقال: ما أبالي أي وقت متُّ بعد أن شاهدت موت ابن المعلم» انتهى .  
وكان عمر مئة وعشر سنين - رحمه الله تعالى - .  
فهذا الإمام - رحمه الله تعالى - صنعَ هذا للمقاصد الشرعية السابقة، لا للتشفي .



[٦] وهذا الإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١) - رحمه الله تعالى -، وتلاميذه يبلغهم موت رأس الإرجاء عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد الذي قال عنه أحمد : «ثقة كان فيه غلُّ الإرجاء»، وقال أبو داود: «كان رأساً في الإرجاء»، وقال يعقوبُ الفسوي: «كان مبتدعاً داعية» .



قال الإمام سلمةُ بن شبيب الحَجْرِيُّ (ت ٢٤٧): «كنتُ عند عبد الرزّاق  
فجاءنا موت عبد المجيد؛ وذلك في سنة ستٍّ ومئتين .  
فقال: الحمدُ لله الَّذي أراحُ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ من عبدِ المَجدِ»<sup>(٩)</sup> .  
قُلْتُ: وهذا من بابِة ما سبق من المقاصد الشرعيّة التي يُراعى بها مصلحةُ  
الإسلام، والمسلمين .



---

(٩) وانظر: «تهذيب الكمال» (٢٧٥ / ١٨)، و«تاريخ الإسلام» (١١٤ / ٥)، و«سير  
الأعلام» (٤٣٥ / ٩)، وغيرها.

## [تَحْرِيرُ الْقَوْلِ فِي مَوْقِفِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ]

وَيَبْقَى فِي خَتَامِ هَذِهِ الْأُورَاقِ :

أَنْ يُقَالَ: أَشْكَلَ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ فِي هَذَا الْبَابِ :

مَا ذَكَرَهُ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي كِتَابِهِ «مَدَارِجُ السَّالِكِينَ بَيْنَ مَنَازِلِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» (٢ / ٣٢٩) فِي ذِكْرِ مَنْقَبَةٍ مِنْ مَنْقَبِ شَيْخِهِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَحَرْفَهُ :

«وَجِئْتُ يَوْمًا مُبَشِّرًا لَهُ بِمَوْتِ أَكْبَرَ أَعْدَائِهِ، وَأَشَدَّهُمْ عَدَاوَةً، وَأَذَى لَهُ؛ فَنَهَرَنِي، وَتَنَكَّرَ لِي، وَاسْتَرَجَعَ .

ثُمَّ قَامَ مِنْ قُورِهِ إِلَى بَيْتِ أَهْلِهِ؛ فَعَزَّاهُمْ، وَقَالَ :

«إِنِّي لَكُمْ مَكَانَهُ، وَلَا يَكُونُ لَكُمْ أَمْرٌ تَحْتَاجُونَ فِيهِ إِلَى مَسَاعِدَةٍ إِلَّا وَسَاعَدْتُكُمْ فِيهِ»، وَنَحْوَ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ؛ فَسَرُّوا بِهِ، وَدَعَوْا لَهُ، وَعَظَّمُوا هَذِهِ الْحَالِ مِنْهُ؛ فَرَحِمَهُ اللَّهُ، وَرَضِيَ عَنْهُ» انْتَهَى .



أَقُولُ :

سَأَقُودُ ابْنَ الْقَيِّمِ هَذِهِ الْفَضِيلَةَ لِبَيَانِ :

مَا كَانَ عَلَيْهِ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - مِنْ [الْإِحْسَانِ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ، وَمُعَامَلَتِهِ بِضِدِّ مَا عُوْمِلَ بِهِ] .

قَالَ: «وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ أَجْمَعَ لِهَذِهِ الْخِصَالِ مِنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ -، وَكَانَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ الْأَكْبَابِ يَقُولُ: «وَدِدْتُ أَنِّي لِأَصْحَابِي مِثْلَهُ لِأَعْدَائِهِ، وَخُصُومِهِ» .

وَمَا رَأَيْتُهُ يَدْعُو عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ قَطُّ، وَكَانَ يَدْعُو لَهُمْ» انتهى<sup>(١٠)</sup> .  
وَلَمْ يُسَمِّ ابْنَ الْقَيْمِ لَنَا هَذَا الْعَدُوَّ، وَلَا وَقَفْتُ - الْآنَ - عَلَى مَا يَدُلُّ عَلَى  
تَعْيِينِهِ .

وَعَلَيْهِ فَسَبْرٌ وَتَقْسِيمٌ هَذِهِ الْقِصَّةُ يَحْتَمِلُ أُمُورًا ثَلَاثَةً :  
**الأوَّلُ:** أَنْ يَكُونَ هَذَا الرَّجُلُ، لَيْسَ مُبْتَدِعًا، بَلْ مَنْ غَلَبَهُ الْحَسَدُ .  
**الثَّانِي:** أَنْ يَكُونَ ذَا بَدْعٍ، لَكِنَّهُ لَيْسَ مِنْ رُؤُوسِ الْبِدْعَةِ، وَلَا دُعَاتِهَا .  
**الثَّلَاثُ:** أَنْ يَكُونَ رَأْسًا فِي الْبِدْعَةِ، وَالضَّلَالَةِ، دَاعِيًا إِلَيْهَا، مُحَارِبًا لِلسُّنَّةِ .  
وَلَا رَابِعَ .

**وَعَلَى الْإِحْتِمَالِ الْأَوَّلِ، وَالثَّانِي يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ :**

مَذْهَبُ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَالْأَثَمَةِ الْمَهْدِيِّينَ كَانَ فِي حَقِّ رُؤُوسِ أَهْلِ الْبَدْعِ،  
وَالْأَهْوَاءِ؛ فَأَمَّا مَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَلَا يَعَامَلُ مَعَامَلَةَ رُؤُوسِ الضَّلَالِ .  
فَهَذَا الْخِصْمُ عَدَاوَتُهُ، وَبَغْيُهُ لْجَهْلِهِ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ، أَوْ لْغَلْبَةِ الْحَسَدِ عَلَيْهِ .  
وَقَدْ يَصِلُ الْحَسَدُ بِأَنَاسٍ إِلَى السَّعْيِ فِي قَتْلِ مَحْسُودِهِمْ، كَمَا جَرَى فِي قِصَّةِ ابْنِي  
آدَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، وَفِي قِصَّةِ يَوْسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مَعَ إِخْوَتِهِ؛ فَالْعَفْوُ عَنِ  
هَؤُلَاءِ دَرَجَةٌ عَظِيمَةٌ، وَمَنْزَلَةٌ جَلِيلَةٌ .

كَيْفَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، وَالْبِرِّ بِهِمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ ؟ .  
وَقَدْ كَانَ لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ مِنْ تَحْقِيقِ مَعَانِي الرَّفْقِ مَا يُعَدُّ بِهِ إِمَامًا فِي هَذَا الْبَابِ .

(١٠) «مدارج السالكين» (٢/٣٢٨-٣٢٩) .

فَمِنْ جَمِيلِ كَلَامِهِ فِي عِتَاةِ حُصُومِهِ؛ حِينَ تَكَالَبُوا عَلَيْهِ بِمِصْرَ، وَمَنْعُوهُ مِنْ حَقِّهِ فِي الْجُلُوسِ فِي مَجَالِسِ الْحُكْمِ عَلَيْهِ، وَدِفَاعِهِ عَنِ نَفْسِهِ!؛ لِيَتِمَّ كُنُوزُهَا مِنْ اسْتِصْدَارِ حُكْمِ بَقْتَلِهِ!؛ حَتَّى إِنَّ أَخَاهُ الشَّيْخَ شَرَفَ الدِّينِ ابْتَهَلَ، وَدَعَا اللَّهَ عَلَيْهِمْ عِنْدَ خُرُوجِهِمْ؛ فَمَنْعَهُ الشَّيْخُ! .

وَقَالَ لَهُ: بَلْ قُلْ (اللَّهُمَّ هَبْ لَهُمْ نُورًا يَهْتَدُونَ بِهِ إِلَى الْحَقِّ) <sup>(١١)</sup> ! .

وَكَانَ يَقُولُ: «لَا أُحِبُّ أَنْ يُتَّصَرَ مِنْ أَحَدٍ بِسَبَبِ كَذِبِهِ عَلَيَّ، أَوْ ظُلْمِهِ، وَعُدْوَانِهِ؛ فَإِنِّي قَدْ أَحَلَلْتُ كُلَّ مُسْلِمٍ، وَأَنَا أُحِبُّ الْخَيْرَ لِكُلِّ الْمُسْلِمِينَ، وَأُرِيدُ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنَ الْخَيْرِ مَا أُحِبُّهُ لِنَفْسِي، وَالَّذِينَ كَذَبُوا، وَظَلَمُوا؛ فَهُمْ فِي حِلٍّ مِنْ جِهَتِي!، وَأَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِحُقُوقِ اللَّهِ؛ فَإِنْ تَابُوا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَإِلَّا فَحُكْمُ اللَّهِ نَافِذٌ فِيهِمْ» <sup>(١٢)</sup> .



---

(١١) «ذيل طبقات الحنابلة» (٤/٥١٢) .

(١٢) «مجموع الفتاوى» (٥٥/٢٨) .

وبقي الاحتياط الثالث، وهو: أن يكون هذا الميت رأسًا في البدعة، والضلالة،  
داعيًا إليها، محاربًا للتوحيد، والسنة .

فيُمكن أن يُجاب بثلاثة أوجه :

### الوجه الأول :

أن يكون هذا الرجل رأسًا من رؤوس البدع، والضلالات، لكن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - رأى في تبشير تلميذه ابن القيم بموته عدم وجود ما تقدمت الإشارة إليه من المقاصد الشرعية ! .

فلما لم تتحقق عنده هذه المقاصد التي كان يقصدها السلف الصالح زجر ابن القيم، ومهره ! .

وهذا فيه نظر؛ إذ فيه سوء الظن بهؤلاء الفضلاء، وأنهم غلبهم حظُّ نفوسهم على رعاية المقصد الشرعي ! .

وفي هذا بعد؛ إذ لو كان كذلك لكان جواب شيخ الإسلام ببيان المقصد الشرعي من الفرح بموت رؤوس أهل البدع .



### الوجه الثاني :

أنه قد جرى بينه وبين هذا المبتدع الداعي من الخُصومة الدينية، والملاحات ما خشي أن يكون سببًا لصد الجهاد من أتباعه عند بيان الحق لهم، أو دعوتهم إلى ترك بدعهم؛ فقدّم مصلحة تأليفهم، وهي مصلحة كبرى على المصلحة الصغرى .

وهذا لا يُعارض ما تقدّم عن الصّحابة، والتابعين، والأئمة المهديين في موقفهم من موت رؤوس المبتدعة .



### الوجه الثالث :

أنّ شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى - نظر إلى ضعف أحواله، وأحوال أصحابه، وقلة حيلتهم، وغلبة أهل الباطل، واستطالتهم بالسّلطان، وكثرة اغترار الجهال بهم؛ فرأى أنّ مصلحة تأليف القلوب بشيءٍ من اللطيف مع الاستضعاف أعظم نفعاً، وأكثر نصراً لدعوة الحقّ من إظهار الفرح، ونحو ذلك ممّا ثبت فعله عن السلف الصّالح .

ولا شكّ أنّ لحال القوّة أحكاماً قد لا يُقدّر عليها حال الضّعف، ك(هجر المبتدعة) الذي يتبع المصلحة الشرعيّة، كما قال الإمام أحمد في أهل خراسان .

جاء في «مسائل إسحاق بن منصور» (٩/ ٤٧٦٥-٤٧٦٦) عن إسحاق أنّه

قال لأبي عبد الله: من قال: القرآن مخلوق ؟ .

قال: ألحق به كلّ بليّة .

قلت: فيظهر العداوة لهم، أم يُداريهم ؟ .

قال: أهل خراسان لا يقوون بهم .

قال شيخ الإسلام معلّقاً :

«فإذا لم يكن في هجرانه انزجارٌ أحد، ولا انتهاءٌ أحد؛ بل بطلان كثيرٍ من

الحسنات المأمور بها لم تكن هجرةً مأموراً بها كما ذكره أحمد عن أهل خراسان

- إذ ذاك - أنّهم لم يكونوا يقوون بالجهميّة .

فَإِذَا عَجَزُوا عَنْ إِظْهَارِ الْعَدَاوَةِ لَهُمْ سَقَطَ الْأَمْرُ بِفِعْلِ هَذِهِ الْحَسَنَةِ، وَكَانَ مُدَارَاتِهِمْ فِيهِ دَفْعَ الضَّرَرِ عَنِ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ تَأْلِيفُ الْفَاجِرِ الْقَوِيِّ .

وَكَذَلِكَ لَمَّا كَثُرَ الْقَدَرُ فِي أَهْلِ الْبَصْرَةِ؛ فَلَوْ تَرَكَ رِوَايَةَ الْحَدِيثِ عَنْهُمْ، لِأَنْدَرَسِ الْعِلْمِ، وَالسُّنَنِ، وَالْآثَارِ الْمَحْفُوظَةَ فِيهِمْ .  
فَإِذَا تَعَدَّرَ إِقَامَةَ الْوَاجِبَاتِ مِنَ الْعِلْمِ، وَالْجِهَادِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ إِلَّا بِمَنْ فِيهِ بَدْعَةٌ مَضَرَّتْهَا دُونَ مَضَرَّةِ تَرْكِ ذَلِكَ الْوَاجِبِ: كَانَ تَحْصِيلُ مَصْلَحَةِ الْوَاجِبِ مَعَ مَفْسَدَةِ مَرْجُوحَةٍ مَعَهُ خَيْرًا مِنَ الْعَكْسِ<sup>(١٣)</sup> .  
وَمَعَ هَذَا كُلَّهُ :

فَإِنَّ شَيْخَ الْإِسْلَامِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - غَايَةُ مَا كَانَ مِنْهُ هُوَ الْإِحْسَانُ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَالْإِحْسَانُ إِلَى ذَوِيهِ، وَتَعَزِيَّتُهُمْ، وَمُؤَاسَاةَتُهُمْ فِي فَقْدِهِمْ لِأَبِيهِمْ .  
وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - تَزْكِيَةٌ لِهَذَا الْمُبْتَدِعِ، أَوْ ثَنَاءٌ عَلَيْهِ، أَوْ مَبَالِغَةٌ فِي الْإِطْرَاءِ لَهُ، وَمَدْحِهِ، أَوْ تَعَزِيَّةٌ لِلْأُمَّةِ فِي فَقْدِهِ ! .

كَمَا يَجْرِي - الْيَوْمَ - مِنْ بَعْضِ مَنْ تَرَبَّى عَلَى غَيْرِ مَنْهَجِ أَهْلِ السُّنَّةِ؛ فَهُمْ يُحَوِّقُونَ !، وَيَسْتَرْجِعُونَ !، وَيُظْهِرُونَ الْحُزْنَ، وَالْأَلَمَ، وَالتَّحَسُّرَ !؛ لَفَقْدِ ذَلِكَ الدَّاعِيَةِ الْمُبْتَدِعِ الضَّالِّ !، وَيُبَالِغُونَ فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِ !، وَالتَّأْسُفِ لِفَقْدِهِ !، وَالتَّوَجُّعِ لِمَوْتِهِ !! .

(١٣) «مجموع الفتاوى» (٢٨ / ٢١٠ و ٢١٢) .

وهذا تغريبٌ للجُهَّال بحُسنِ طَريقةِ هذا المُبتدعِ الضَّالِّ، وتَهوينٌ مِن بدعِهِ،  
وما كانَ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلالِ، ونَشْرِهِ، والدَّعوةِ إِلَيْهِ .



ولقد أجاد وأحسن في بيان مفايد توقيير أهل البدع :  
الإمام المحقق أبو إسحاق الشاطبي (ت ٧٩٠) - رحمه الله تعالى - في كتابه  
النَّافِع «الاعتصام» (١/٢٠٢ / طبعة دار ابن الجوزي)؛ فقال :  
«وأيضا فإن توقيير صاحب البدعة مظنة لمفسدتين تعودان على الإسلام  
بالهدم!»:

**إِحْدَاهُمَا :**

التفاتُ الجُهَّال، والعامَّة إلى ذلك التَّوقيير؛ فيعتقدون في المُبتدع أَنَّهُ أَفْضَلُ  
النَّاسِ، وَأَنَّ مَا هُوَ عَلَيْهِ خَيْرٌ مِمَّا عَلَيْهِ غَيْرُهُ، فيؤدِّي ذلك إلى اتِّباعه على بدعته دون  
اتِّباع أهل السُّنَّة على سُنَّتِهِمْ .

**والثَّانِيَّةُ :**

أَنَّهُ إِذَا وُقِّرَ مِنْ أَجْلِ بَدْعَتِهِ صَارَ ذَلِكَ كَالْحَادِي الْمَحْرُضِ لَهُ عَلَى إِنْشَاءِ  
الابْتِدَاعِ فِي كُلِّ شَيْءٍ ! .  
وعلى كُلِّ حَالٍ فَتَحِيََا البَدْعَ، وتَمُوتِ السُّنَنُ، وهو هدمُ الإسلامِ بعينه! «  
انتهى .





## خاتمة وخلاصات مهمة

- ١ / كان السلف الصالح - رضوان الله عليهم -، ومن سار على نهجهم من أئمة السنة يفرحون بموت رؤوس البدع، ودعاة الضلالة .  
ويحمدون الله تعالى على ذلك، وفرحهم هذا لما يرون في ذلك من تقليل شر هؤلاء المفسدين؛ الذين هم في حياتهم ساعون في إبطال الدين، وتحريف الكتاب، والسنة، والطعن في منهج سلف الأمة، وصرف الناس عنه .  
وهذا يُقلل من أوزارهم؛ وهو خيرٌ لهم عند الله تعالى .
- ٢ / هذا الاستبشار، والفرح، خاص بموت (رؤوس المبتدعة) الدعاة، ولا يدخل في ذلك (جُهاَلهم)، و(طُلابهم)، و(من اغترَبهم من العامة) .
- ٣ / ليس من هدي سلف الأمة، ومنهج أهل السنة والجماعة إظهار الحزن، والتأسف لموت رأس من رؤوس البدع، والأهواء .
- ٤ / وليس من منهج أهل السنة والجماعة الشاء عليهم، وذكر مناقب لهم، أو إشهار حسناتهم، أو إظهار التوجع على فقديهم .
- ٥ / قد يتأول بعض أهل السنة حال ضعفهم، وقلة حيلتهم عند موت رؤوس البدع، والأهواء، عدم إظهار الفرح، والاستبشار بموت رؤوس الضلال؛ فهذا موضع اجتهاد؛ ولا يُنكر عليهم رعايتهم لما يرونه من مصالحهم الكبرى الشرعية، ودفعهم الضرر عنهم من غير ثناء على هؤلاء الضلال .
- ٦ / التحذير من أهل البدع دائمٌ في حياتهم، باقٍ بعد موتهم بحسب ما تقتضيه المصلحة الشرعية، والله أعلم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

«إِذَا كَانَ الْمُتَكَلِّمُ فِيهِ (دَاعِيًا إِلَى بَدْعَةٍ)؛ فَهَذَا يَجِبُ بَيَانُ أَمْرِهِ لِلنَّاسِ؛ فَإِنَّ دَفْعَ

شَرِّهِ عَنْهُمْ أَعْظَمُ مِنْ دَفْعِ شَرِّ قَاطِعِ الطَّرِيقِ» انتهى<sup>(١٤)</sup> ، والله الموفق والهادي إلى

سواء السبيل .

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ، وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

كُتِبَتْهُ أَخُوكُمْ وَمُحِبُّكُمْ أَبُو الْعَبَّاسِ الشُّحْرِي

لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ٣٠ الْمَحْرَمِ ١٤٤٣

الْمَدِينَةَ النَّبَوِيَّةَ

---

(١٤) «منهاج السنة النبوية» (١٤٦/٥) .